

Dirassat & Abhath
The Arabic Journal of Human
and Social Sciences



مجلة دراسات وأبحاث
المجلة العربية في العلوم الإنسانية
والاجتماعية

EISSN: 2253-0363
ISSN : 1112-9751

اللغوي والمعرفي والدلالي في الرواية الثقافية

Linguistics, cognitive and semantics in the cultural novel

هشام فرّوم Hicham ferroum¹، عيسى مومني Aissa moumeni²

¹ جامعة الشاذلي بن جديد، مخبر تعليمية اللغات والتواصل في ظل التكنولوجيات الحديثة

ferroum-hicham@univ-eltarf.dz

² جامعة قسنطينة 1

moumeni.aissa@umc.edu.dz

المؤلف المرسل: هشام فرّوم Hicham ferroum الإيميل: ferroum-hicham@univ-eltarf.dz

تاريخ القبول: 2022-04-09

تاريخ الاستلام: 2022-03-31

الملخص:

رواية "لبيك حجّ الفقراء" لمالك بن نبي؛ منوال في العلاقة بين الدلالة والعرفنة، وقوة في العمل القولي صدر عن مفكر متفتّن سنة 1947م. يشكّل العنصر الأول في اعتماد العبارة اللغوية عنده؛ ما يكون به الواقع والتجربة والتعبير عنهما. ويمثّل العنصر الثاني إنتاج ملفوظ يتوقّر على دلالة يستلزم الملفوظ فيها بالضرورة معرفة المتقبّل بمقصد الباثّ التواصل. فهل وفرت علاقة الاتصال ظاهرة متواترة في الخطاب تحيل فيها على معناها أو مرجعها؟ وهل حقّق استعمال اللغة عند مالك بن نبي ما يمكن أن يوجد من العوالم المتنوعة ومن أحوال القصد وأحوال المعرفة بالأشياء والكون أحجاما في الوجود الاجتماعي؟ وما نماذج القوة التي تشغل في بنية العمل اللغوي وتوترات علاقاتها في العمل القولي؟
الكلمات المفتاحية: اللغة، المعرفة، الدلالة، النص، السياق.

Abstract:

Malek Bennabi's novel, Lebbeik: Personage of the Poor is a model in the Relationship between semantics and cognition, and a strong manifestation of the act of speech. The work was published in 1947. The first element, the choice of the linguistic expression allows him to translate the real and the experience. As for the second element, the text is the production of a statement provided with a meaning, and which supposes, on the part of the enunciator, the knowledge of the receiver in order to ensure good communication (a successful communication). Hence the following problem: Does the relation of communication establish a phenomenon of sequence, of succession of the elements in the discourse thus referring to its meaning or its reference? -Does the use of language by Malek Bennabi possibly achieve a diversity of worlds, intentions and knowledge of things and the universe that find their repercussions in social reality?

Keywords: language, Knowledge, Indication, Text, Context

وبين هذه القضايا وكل ما تنطوي عليه مفرداتها
مساحات لا تلبث أن تضع القارئ أمام أكثر المشاهد تعقدا
والتفافا في الرواية تتوزّع بين اللغوي والمعرفي والدلالي.

مقدمة:

تنطلق هذه القراءة في رواية "لبيك حجّ الفقراء" لمالك بن نبي من نصّ اللغة الذي به نتعامل مع ظواهر الوجود؛ ويمثّل المتن البارز من الأشياء. ثم يأتي ما وراء اللغة ليمثّل العمق وبه تخرج الأشكال من سطحها المستوي إلى منوال الأفضية "لاستنطاق نصّ النصّ بما هو خطاب"⁽¹⁾. وفي تجليات النصّ اللغوية والنفسية والأنثروبولوجيا تبرز سلطة الإدماج في رواية "لبيك حجّ الفقراء"، وجملة الظواهر المتواترة في الخطاب التي تكشف عن منوال في العلاقة بين الدلالة والعرفنة، وعدم الاكتفاء بالجملة أساسا للدراسة، لتتسع الدراسة بعد ذلك لتداول النظر في مفهوم القصد والفعل الكلامي في الرواية.

1. نصّ اللغة وما وراء اللغة في رواية (لبيك حجّ الفقراء):

يتّضح نصّ اللغة وما وراء اللغة من منظومة المعاليم والمجاهيل في الرواية، والمشروع الذي أبانت عنه.

1.1 نصّ اللغة في رواية (لبيك حجّ الفقراء):

ينضوي نصّ اللغة في رواية "لبيك حجّ الفقراء" تحت جملة المعاليم التي تكشف عن حديث الفطرة السليمة للشعب الجزائري في تعامله مع "النداء الذي لا يقاوم كي يُلبّي بقوة لا تقهر؛ إنّ في الشتاء وإنّ في الصيف"⁽²⁾.

فكل أبعاد هذه الأقوال هي منظومة ما وراء اللغة، حاول فيه "مالك بن نبي" إعادة الوصل مع الذاكرة والتاريخ والموروث الثقافي والأدبي والفكري. وأعدّ له أشخاصه ومصطلحاته وأماكنه "بعبارات بسيطة تكشف عمّا تكنّه النفس المؤمنة من حنين إلى واد بعيد... حيث ترك إبراهيم ذريته لكي يعبدوا الله"⁽⁵⁾. وعما تشعر به من لحظات من الإيمان الرحب الذي يجمع ولا يفرق، ويترك الناس لأجله كل شؤون الدنيا للالتحاق بتلك الرحلة المبرورة.

3.1 المشروع الذي أبانت عنه رواية (لبّيك حجّ الفقراء):

ومن ثم أبانت رواية "لبّيك حجّ الفقراء" لمالك بن نبي عن مشروع رواية بالفرنسية عام 1947م والتي قيل عنها توارداً "إنّها إحدى إبداعات بن نبي في الأدب الفرنسي"⁽⁶⁾.

وقد اعتمدنا في هذه القراءة ترجمة "زيدان خوليف" الذي قام بترجمة هذه الرواية إلى العربية سنة 2009 في إطار بحثه الجاد عن المصادر في كل ما يتصل بموضوعه حول حياة "مالك بن نبي" وفكره.

2. التجليات اللغوية والنفسية والأنثروبولوجية القائمة

على سلطة الإدماج في رواية "لبّيك حجّ الفقراء":

تمثل رواية "لبّيك حجّ الفقراء" نموذجاً لرؤية الفرد المسلم في مساحة الإنسانية؛ وهو يرسم الطريق ويحدّد الاتجاه. وهو ما يشي به عنوان الرواية، ويظهر في حديث التعدّد الثقافي والاجتماعي والنفسي والأنثروبولوجي، ومظهر استعمال اللغة في التواصل في رواية "لبّيك حجّ الفقراء".

1.2 قراءة في عنوان رواية (لبّيك حجّ الفقراء):

يكشف عنوان "رواية لبّيك حجّ الفقراء" عن طريقة في العرض تتسم بالوضوح الذي يحيل القارئ مباشرة على حالة الأمة في إحساسها بالنداء الحقيقي للحجّ، دلالة على الاستجابة والطاعة، يقال: "لبّي بالحجّ: قال لبّيك اللهم لبّيك"⁽⁷⁾.

وتبرز قوّة النجاعة في العنوان من خلال بناء المفاهيم عند "مالك بن نبي" التي يُتوصّل بها إلى تحصيل الزيادة في المعرفة. وبذلك جاءت فلسفة "مالك بن نبي" منصّبة على التّظنر في الكليات المجرّدة، والتدرج في مراتبها إلى قضاء العقل الفسيح. وجاء العنوان منطلقاً للقراءة بالنظر للوظائف التي يؤديها،

أفقه المكاني: مدينة عنابة، بونة سابقاً: "وفي هذا اليوم كانت عنابة تحتفل بالحجّيج، وكانت الحركة غير عادية قرب محطة القطار، وعند المرفأ منذ اقتراب الباخرة"⁽³⁾.

أما الأفق الزماني: فهو عيّنة من عيّينات ذلك المشهد الجزائري الذي افتقد في زمن الصّخب سبل الفاعلية في المبادرة بسبب ظروف الاحتلال، وبدأت معالم فكر حضارة الإنسان الجزائري حينها تفقد فعاليتها أمام وهج الحضارة الغربية وهي في أقصى حالات التأهب للسيطرة على العالم.

وهو مشهد لوضع كان يعيشه الإنسان الجزائري إحياء لقيّم الفطرة التي تكاد مؤثرات النمط الأوربي تطغى عليه في تلك الفترة "فيستجيب الذين هم في أقاصي البلاد المسلمة: لبّيك لبّيك"⁽⁴⁾.

2.1 ما وراء اللغة في رواية (لبّيك حجّ الفقراء):

وتمثل ما وراء اللغة منظومة المجاهيل التي تؤثت أقوال: العم محمد، والطفل "هادي"، والسكير "إبراهيم" وزوجته "زهرة"، والمثقف الجزائري ذلك الجندي المجهول المدافع عن قيّم الأمة.

وقد تنأى أقوال هذه الشخصيات في الدّقة فتخفّى على غير المتمرس بأسرار اللغة؛ يلمح القارئ في شخص "العم محمد" الأصالة المتجذرة في الأمة والتي أبت التّأقلم مع الوضع الذي اعتراه التحوّل. وفي شخص "إبراهيم" صورة للجيل الذي عايش المجتمع الأوربي في الجزائر فغلب عليه الانحراف وبقي في حيرة من أمره. وفي لحظة من لحظات التأمّل حرّكه نداء الفطرة فأدى فريضة الحج. وتظهر شخصية المثقف الجزائري في رواية "لبّيك" في المناقشة التي جرت بين ذلك الرّجل المثقف والرّبان في تلك السفريّة، وقد مثّل فيها مركز الثّقل الذي تطبع عليه الأحداث كل أبعادها العالمية.

كما يلمح القارئ أيضاً أن "مالك بن نبي" قد خصّ الفتى "هادي" بالتفاتة في رواية "لبّيك حجّ الفقراء" لما أبرزه من تحدي لرفاقه وصعوده إلى المركب ليحجّ هو الآخر، وإن كان بينه وبين البيت الحرام مسافة بعيدة. ولم ينس دور المرأة في المجتمع في إشارة لزهرة زوجة "إبراهيم" على ما عانتها من انحرافه وعربدته.

والتي يحددها "جيرارد جنيت" في أربع وظائف هي: الإغراء، الإيجاء، الوصف، التعيين⁽⁸⁾.

وهو ما اتسع له من نداء لا يقاوم؛ يمثل نموذج الفكرة، وصفاء شبكة العلاقات الإنسانية في عفويتها وقدرتها على اتخاذ القرار.

2.2 حديث التعدد الثقافي، والاجتماعي،

والأنثروبولوجي، والنفسي في رواية (لبيك حجّ الفقراء):

إن حديث "مالك بن نبي" عن الفرق الدينية وتشكلاتها حسب انتمائهم، في قوله: "عادة، تتشكل الجماعات حسب انتمائهم إلى مختلف الفرق الدينية: (التيجانية) و(الأحاب) بعضهم مع بعض و(القادرية) و(الإخوان) بعضهم مع بعضهم، كلهم يجتمعون من أجل الذكر الخاص بكل فرقة"⁽⁹⁾. يكشف عن عمق معرفته بثقافة الأمة، والأفكار التي تتداولها الجماعات هنا وهناك.

أما حديث إبراهيم الذي ساقه "مالك بن نبي"، حين "أخذ يفكر في كيفية لباسه لو استقرّ في المدينة المنورة، تسأل إن كان سيواصل ارتداء (القندورة) الجزائرية والعمامة أو يستبدلها بالزي الحجازي"⁽¹⁰⁾. فهو يكشف عن علاقة "إبراهيم" بظاهرة لباسه، وهي دلالة انبثقت "على تراكم بين النمط الطبيعي والنمط العرفي وأصله أن الإنسان مجبول بفطرته على مشاعر إذا تعهد العرف الاجتماعي آلت معه إلى منازل وجدانية أو سلوكية تتطافر فيها دلالة الطبع مع دلالة الاصطلاح"⁽¹¹⁾.

وهكذا يظهر الحديث في رواية "لبيك حجّ الفقراء" وكأنه "بحث في العلاقة بين الثقافة والذهن، وهي بحث فيما به يدرك الإنسان الأشياء والأحداث والتجارب في محيطه فيتمثلها"⁽¹²⁾. فمشهد تفحص الحجّاج للطعام والحكم الذي أصدره الإمام بعد أن أخذ ملعقته وتناول بها كل قطع اللحم، وقال: ليس هذا لحم خنزير، وكرّر إبراهيم الكلام نفسه قائلاً: "أنا متأكد من أن اللحم ليس لحم خنزير، فقد رأيتهم يذبحون خرافاً وفقاً للشريعة"⁽¹³⁾. يجعل من الأحداث والتجارب في رواية "لبيك حجّ الفقراء" نظاماً ذا معنى، يدرك فيه الإنسان المواقف الجديدة ويمكن تحديدها ومعرفتها والتحكّم في مسارها.

أما طريقة عرض "مالك بن نبي" للحوار الذي دار بين البحار ومجموعة "إبراهيم" حول عدم أكل لحم الخنزير عند المسلمين، فهو يكشف عن وجود اختلافات ثقافية في الإدراك والاستدلال وتصنيف المأمورات بين البشر. ومثل هذه القضايا تؤلّ إلى أن اختلاف البشر "في تصنيف الأشياء باختلاف الثقافة وليس هذا الاختلاف نفسياً أو عصبياً وإنما هو اختلاف ثقافي بين تموضع العرقة تموضعا اجتماعياً"⁽¹⁴⁾. وهو اختلاف بين فهم ذلك البحار الغربي الذي يظن أن النبي محمد "صلى الله عليه وسلّم" هو من منع الخمر والخنزير.

وعلى الرغم من حادثة "إبراهيم" مع التوبة وعزمه على أداء فريضة الحج، فهو يعتقد أنه "ليس محمد من منع الخمر والخنزير بل إنّ الله هو الذي قد حرّمها على المسلمين"⁽¹⁵⁾. وترتقي درجات الفهم ومدى إدراكها عبر الثقافات بعد تدخل "أحد المثقفين الجزائريين والذين يجيدون لغتين على الأقل فيخاطب الناس بما تفهم". "ليس محمد ولا الله. لكن الربّ هو الذي قرّر المنع. ارتبك البحار لهذا التدخل غير المتوقع وسأله بشيء من الجدية: إذن فبالنسبة إليكم الله والربّ ليس لهما المعنى نفسه؟". يجيبه قائلاً "بالنسبة إلّي نعم. ولكن بالنسبة إليكم فالأمر ليس كذلك، عندما تقولون "الله" يذهب بكم تفكيركم إلى صنم يعبدّه المسلمون. لكن حين تقولون الربّ فسيتبادر إلى أذهانكم الشيء نفسه عندما نقول نحن "الله"⁽¹⁶⁾.

وهكذا أبرزت رواية "لبيك حجّ الفقراء" بيئات مادية واجتماعية مخصصة عبرت عنها الرواية.

"كان لدى إبراهيم هذا الإحساس بالخزي الذي ينزل بهذه الشريحة المشبوهة من الناس الذين طبعهم الحياة التي أخذت منعطفاً عصرياً والذين هم متشردون دون مأوى ولا عائلة على هامش مجتمعين: مجتمع مسلم وآخر أوربي"⁽¹⁷⁾. وكل ذلك يدخل في الجانب الأنثروبولوجي العرقي.

إنّ عمليات العرقة وأبنيتها في رواية "لبيك حجّ الفقراء" تظهر من قبيل الحوار بين شخصيات الرواية ولغتها، والقصد الذي ذهب إليه كل فريق، والفهم اللغوي لكلمتي "الله" و"الربّ" عند جموع الحجّاج، والبحار، والمثقف الجزائري في تلك السفيرة، والإدراك والانتباه والذاكرة لدى "إبراهيم" مع صوت مؤذن الفجر الداعي إلى الصلاة: الله أكبر. الله أكبر. سمعه كمن أيقظه بعد نوم عميق ليناديه إلى الصلاة. كان

يهين أحد الشحاذين في موسكو بحجة أن الشحاذة كانت ممنوعة⁽²¹⁾. وحديث المثقف الجزائري الذي له لغته، وفلسفته في التواصل مع الآخر هو نموذج لرؤية الآخر في فكر "مالك بن نبي" الفيلسوف الذي يستعمل الاصطلاحات الفلسفية ومفرداتها ويحددها.

كما يظهر هذا الاستعمال في عناية "مالك بن نبي" بتقليب أساليب الخطاب في رواية "لبيك حجّ الفقراء" وصلتها بمقاصد الخطاب والمتخاطبين. فهي لغة وفّرت كل شروط التواصل في الحوار الذي دار بين أشخاص رواية "لبيك حجّ الفقراء" لاعتماد "مالك بن نبي" على حقل اللغة المناسب لكل مقام، يظهر ذلك في حديث "إبراهيم" مع الحجاج، وحديثه مع الفتى "هادي"، وفي معاملته مع زوجته "زهرة"، وفي حديثه بعد توبته وعزمه على أداء فريضة الحج.

يضاف إلى ذلك توزيعه للغة على حقول دلالية مما يجعل الحقل حاضرا في الخطاب بالقوة: الحج وما يتبعه من استحضر نيّة، ومن أقوال وأفعال ولباس خاص، فكل هذه القضايا حاضرة في حقل لغة "مالك بن نبي" تلخصه جملة الحوارات بين العم "محمد"، و"إبراهيم" الذي عزم على الذهاب إلى الحج.

لقد اختار "مالك بن نبي" لغة التواصل المناسبة، للحديث بين شخصيات الرواية، وفلسفة قضاياهم، كما يبدو في الحوار الذي جرى بين ربان السفينة والبحار الذي كان يقف فوق السطح بجانب الضابط عن الشاب الذي لم يستوف جميع إجراءات الحج. وقد سبق عرض نماذج منه.

3. الظواهر المتواترة في الخطاب بقصد الكشف عن منوال

في العلاقة بين الدلالة والعرفنة:

وتكشفه طريقة استعمال "مالك بن نبي" للغة الحديث عن الأشياء كما هي في حال الكون والتجربة، وما يمكن أن يراه رؤية العين أو يفترضه كائنا، وكذلك من خلال التناسب بين المفاهيم والمدرجات في الرواية. وتظهر نماذجه كالآتي:

1.3 ظاهرة إحالة العبارة:

وتتمثل هذه الظاهرة في إحالة العبارة على معناها أو مرجعها إحالة غير معهودة، مثل مناداة صبيان أزقة "بونة" لإبراهيم في الرواية بلقب "بوقرعة"⁽²²⁾. لذلك أحال "مالك بن

يحيى وكأنّ الأذان قد أيقظه من سبات دام لسنوات طوال. هذا الصوت أيقظ فيه أيضا أصداء بعيدة، فتذكر أنّه في مثل هذا الوقت كان يهض والده لكي يتوضأ ويصلي"⁽¹⁸⁾. وإلى غير ذلك من عبارات اللغة التي سمعها "إبراهيم"، مثل عبارة "حيّ على الصلاة". والتي قال عنها الراوي "هذه العبارة التي لخصت حالته النفسية في هذه الدقيقة تناهت إليه مثل صدى لحوار داخلي كان قد أفلت من شعوره. وتنبّه أنه ومنذ زمن بعيد لم يشهد طلوع الفجر، ولم يستنشق النسيم العليل للصباح"⁽¹⁹⁾.

وهي قضايا تصلح أن تكون "مباحث تهمّ الانفعال والشخصية وغيرها ممّا له تفاعل مع سائر الملكات العرفنية"⁽²⁰⁾. مما يدخلها فيما يسمى بعلم النفس العرفنيّ الذي يشتغل على مثل هذه المسائل.

إنّ حديث التعدّد الذي يظهر في ممارسة "مالك بن نبي" لسلطة إدماجية بين الثقافي والاجتماعي الأنثروبولوجي، والنفس في رواية "لبيك حجّ الفقراء" يجعله يتموقع في الحقل الفلسفي وهو الفيلسوف المعروف. كما يجعل اتّجاهه إلى الاشتغال بمسائل علم النفس العرفنيّ الذي يظهر من الأمثلة الواردة في رواية "لبيك حجّ الفقراء" يؤكد أنّ "مالك بن نبي" شهد ما يسمى بالثورة العرفنية في أوروبا في منتصف 1950م وهي ثورة على السلوكية وما سطرته من الاكتفاء بالسلوك الظاهر موضوعا للوصف والملاحظة. لهذا نجده يركّز على عمليات العرفنة من إدراك، وانتباه، وتذكّر، وقصد، واستعمال لغوي؛ فالذاكرة خزّان وملجأ لدى "إبراهيم"، والتفكير عنده حركة؛ ملك فكره فيها حنينه إلى تأدية فريضة الحجّ، والمعرفة لديه رؤية سعى أن يكون سلوكه في الحياة مستجيبا لنداء العقل وهمس الضمير.

3.2 مظاهر اللغة في الاستعمال في رواية (لبيك حجّ

الفقراء):

إنّ اهتمام "مالك بن نبي" في رواية "لبيك حجّ الفقراء" بمسألة استعمال اللغة في التواصل مسألة مهمة كما يبدو في حديث الضابط عن الشاب الذي لم يستوف جميع إجراءات الحجّ. فقال له أحدهم: "إنّ من القسوة ضدّ هذا الرجل المسكين لأنه لم يستوف جميع إجراءات الحجّ. ردّ الضابط الذي كان ينظر إلى الرجل متأملا قائلا: أجل إنه أمر قاس ولكن هذا هو الصراع الأزلي بين ما هو دنيوي وما هو روحي. يقولون إنّ "تولستوي" عرف أكبر أزماته الأخلاقية عند رؤية شرطي

وقوله: "استخار فيه الله ليلهمه عن طريق رؤيا في الحلم"⁽³³⁾. وهي نماذج "متجذرة في التجربة الحسية والاجتماعية والثقافية"⁽³⁴⁾. تمثل نماذج مفهومية ليست لغوية، جعلت المعرفة رؤية.

ونماذج العبارات الاستعارية المفهومية كثيرة، منها:

- ✓ الزمن حركة: في مثل قوله: "في عائلة ما؛ حيث يكون الأب قد أدى فريضة الحج بالأرض المقدسة في فصل الصيف بإمكان الابن أن يؤدّيها في عزّ الشتاء"⁽³⁵⁾.
- ✓ العجرفة موبقات وقبائح: في مثل قوله: "هذه العجرفة التي يشترك فيها كل الذين يتعاطون الخمر، ألهمته فرحة مفاجئة فأنشد يغني بمقاطع غير مفهومة من اللغة وعلى إيقاع كل المخمورين"⁽³⁶⁾.
- ✓ الصوت قوة خارقة: في مثل قوله: "لقد فاجأه صوته الشاذ الذي اخترق المحلّ، لكن روحه واصلت ملاحقة حلمه الذي أقحم فيه كلّ ما يعرفه من مفاهيم عن الحج"⁽³⁷⁾.
- ✓ الذاكرة ملجأ: في مثل قوله: "لقد حاول سدى الاستنجاد بذاكرته التي أنهكها الخمر، رغم ذلك توافدت أفكار طففت إثرها حوادث ليلة البارحة"⁽³⁸⁾.
- ✓ الذاكرة رصيد ينقص ويزيد: في مثل قوله: "انقطع مشهد الذكريات من ذهنه وكأنّ ستاراً حاجباً سقط فغطّى ذلك المشهد، وعاد إلى ذاكرته ذلك الحلم الذي حاول إبراهيم استشعاره"⁽³⁹⁾. وقوله: "هكذا أرخى إبراهيم العنان لذاكرته"⁽⁴⁰⁾. وعملية إحصائية لفعل "تذكر" تكشف مدى علاقة اللغة بالعرفنة في رواية "لبّيك حجّ الفقراء".
- ✓ الروية ملامسة: في مثل قوله: "أمعن الشيخ النظر برهة بحزن في السّكر المسكين الذي كان يترنّح أمامه، وكذلك صاحبه المستلقي على الأرض"⁽⁴¹⁾.

وكل هذه الأمثلة نماذج لاستعارات مفهومية وردت في رواية لبّيك حجّ الفقراء بكثرة.

4. تداول النظر في مفهوم القصد والفعل الكلامي في رواية (لبّيك حجّ الفقراء):

إنّ قوة الأعمال القولية واللاقولية في نماذج من الجمل الخبرية والإنشائية في رواية "لبّيك حجّ الفقراء" لمالك بن نبي، يحيل على تصوّر منبثق عن معيار تداولي⁽⁴²⁾. فحين خاطب محافظ السفينة الفتى بقوله: ما اسمك؟ فإنّ هذا الاستفهام

نبي على مفهوم الكلمة "صاحب قارورة النبيذ" لبناء الفضاء الذهني لدى القارئ والكشف عن الاتصال ما بين المفردة والتجربة.

وقد تعدّد الإحالة على المفهوم في نماذج كثيرة من الرواية، وهي نماذج لبناء الأفضيّة الذهنية لهدف معرفي يسمح "ببناء المعنى عن طريق الخطاب بوجه تستطيع به الأطراف فيه متابعة الخطاب في ديناميّة قصد تحقيق الغايات التواصلية الفكرية"⁽²³⁾. وفي مثل قوله "ولكن رضي به ليجد فيه الرجل الذي يسير في الطريق المستقيم: الحاج"⁽²⁴⁾. وقوله: "لقد رأى نفسه في لباس الإحرام؛ اللباس الذي يرتديه الحاج خلال أدائه لتلك المناسك"⁽²⁵⁾. وقوله: "سأدعو لك يا عبي عند شباك النبي؛ كان يعني ذلك السياج الذي يحيط بالضريح الشريف"⁽²⁶⁾. وقوله: "حيّ على الفلاح؛ هذه العبارة التي لخصت حالته النفسية في هذه الدقيقة"⁽²⁷⁾. وقوله: "كانت الميدة، تلك الطاولة ذات الأرجل القصيرة الخاصة لمسلمي شمال إفريقية"⁽²⁸⁾. وهو خطاب موائم بين المعمم الكامن في الذهن وعناصر السياق الخارجي بهدف رسم الانتظام المفهومي في رواية "لبّيك حجّ الفقراء".

2.3 التناسب بين المفاهيم والمدرجات في الرواية:

لقد جاء مدّ الوصل في رواية "لبّيك حجّ الفقراء" بين المفاهيم والمدرجات مدّاً استعارياً انطلاقاً مما هو ماديّ نحو هو غير ماديّ. فعبارة "غسل عظامهن"⁽²⁹⁾. دلّت على أنّ الحج يطهر الذنوب. ومكمن الاستعارة في التناسب بين التطهر من الذنوب وغسل الجسم من الأدران. فكانت رواية "لبّيك" هي زاد المسافر إلى الله، ونسق من المعرفة المعمّمة للظواهر التي عالجهها "مالك بن نبي" بفضل بعده الاستشراقي ومشروعه الثقافي الحضاري المخصوص، والتي يظهر من خلالها أنه صاحب قضية يدافع عنها.

وهكذا صار الخطاب عند "مالك بن نبي" أشبه بفضاء ذهني علاقة اللغة فيه بالعرفنة أوسع. فجاء "موقع الاستعارة ليس في اللغة على الإطلاق، وإنّما في الكيفية التي تُفهم بها مجالا ذهنياً وفقاً لمجال آخر"⁽³⁰⁾.

والنماذج كثيرة في رواية "لبّيك حجّ الفقراء"، ففي قوله: "ظل فكره يطارده بلدة ذلك الحلم الذي يعتقد أنّه رآه"⁽³¹⁾. وقوله: "في واحد من الأزقة تراءى طيف شخصين"⁽³²⁾.

الفعل الطبيعية" التي تقتضي معتقدات واعترافا بالمقاصد التواصلية⁽⁴⁶⁾.

إنها سمة العربية في ضبطها، لا يصعب التمييز فيها بين الآثار المطلوبة والواقعة للملفوظ، بخلاف العادة فيما يقع من الخلط بين الأثر المطلوب تحقيقه بالقول والقوة اللاقولية للملفوظ.

5. النتائج والتوصيات:

إن الصيغة العربية لرواية "لبّيك حجّ الفقراء" من تعريب الباحث "زيدان خوليف"؛ وكانت هي حافظ المعرفة ومبلغها كما أرادها "مالك بن نبي".

أما ظاهرة التعدّد الذي يظهر في ممارسة "مالك بن نبي" لسلطة إدماجه بين الثقافي، والاجتماعي، والأنثروبولوجي، والنفسي، فقد جسّدت عمق الروح الجزائرية المنتمة إلى تراث الثقافة والحضارة الإسلامية، وكشفت أن التغيير في محيط الإنسان يجب أن يحقّق أولاً في النفس. وأن رسم الانتظام المفهومي في رواية "لبّيك حجّ الفقراء" مهّد لبناء الأفضية لهدف معرفي، وأوجد التناسب بين المفاهيم والمدرجات. وأن عمليات العرّفنة وأبنيها التي تظهر من قبيل الحوار بين شخصيات الرواية ولغتها يؤكد أن "مالك بن نبي" شهد ما يسمى بالثورة العرفنية في أوروبا وقت وجوده بها. ومن ثم نجده يركّز على عمليات العرّفنة من إدراك وانتباه، وتذكّر وقصد، واستعمال لغوي. فمثلت الذاكرة في النص ملجأ، والتفكير حركة، والمعرفة رؤية، والاستعارات جزء من النظام العرفني، وبذلك وسّع الخطاب مساحة الإدراك لدى المتلقي وعمل على إخراج مكونات الإنسان، وأبان عن مشروع ثقافي وحضاري مخصوص يربط الحاضر بالماضي ويربط الحاضر بالمستقبل ويرمم حدود العقل من داخل دائرة العقل.

. قائمة المراجع:

1. الزناد، الأزهر، نظريات لسانية عرفنية، ناشرون، (دت).
2. ليكوف، جورج، النظرية المعاصرة للاستعارة، ترجمة: طارق النعمان، مكتبة الإسكندرية، مصر. 2014.

الأولي جاء بقصد التعرّف على هويّة "هادي" الذي ركب في السفينة من غير أوراق ثبوتية. ودلالة الملفوظ فيه تستلزم بالضرورة مقصدا تواصليا من جهة الباث. لذلك أجابه الفتى بقوله: "هادي" سيّدي. فكان فهم الملفوظ يستلزم بالضرورة معرفة المتقبّل بموضوع الباث التواصلية ترتبت عنه إجابة الفتى "هادي". عمد فيه "مالك بن نبي" إلى إنتاج ملفوظ يتوفر على دلالة أحاطت بجميع ملابساته من خلال قوله: "تمتم الولد، الذي أخافه صوت المحافظ الغليظ، وهو يستعطف بنظراته الحضور"⁽⁴³⁾.

وقد يعمد "مالك بن نبي" إلى تجريد المقاصد التواصلية أو مقاصد القوة اللاقولية في تقاسم لمعنى الجمل أو العبارات كما يظهر في حديث "العم محمد" حين فوجئ بزيارة "إبراهيم" المبكرة، في قوله: "ماذا يا إبراهيم، أهي عريضة أخرى من عريجات هذه الليلة؟"⁽⁴⁴⁾.

والنموذجان يحيلان على قوّة العمل اللاقولي وهو عمل ينجز بالقول شيئا ما، عمل إخبار، أو وعد، أو إصدار أمر، أو طلب، أو طرح سؤال كما في النموذج الممثل به. ويختصّ بسمّة أساسية تتمثل في أن المتلقّي لا يمكنه إتمام ذلك العمل إلا بمحاولة إحاطة المتلقي علما بأنّه تتمّة تظهر في قوى الجملة التابعة: ماذا يا إبراهيم، وأتبعها بقوله: أهي عريضة من عريجات الليلة؛ في إشارة إلى أيامه السابقة مع العريضة والسكر.

أما العمل القولي فهو إنتاج ملفوظ يتوفر على دلالة في مثل قوله: "إنّ مصاعب الحياة والصراعات والبؤس ليست وليدة المصادفة ولا من صنع الله، كل هذا هو نتاج المدنية المتحضرة التي خالفت القوانين الأساسية للسعادة"⁽⁴⁵⁾.

وهو نموذج لأعمال قوّة القول في شكل خبر تصريح؛ جملة وعباراته أشبه بفضاء تواصلية يقيد المتكلم فيه أو يسمح بالأعمال القولية المتنوعة مع قواها التابعة لها. مضمونها المواساة، التعبير، الحمل على الاعتقاد.

وإن ما ادّعاه "أوستين" من كون تحديد قوّة الملفوظ اللاقولية يقتضي بالضرورة مفهوم المواضعة، فقد قال "ستراوسن" من بعد "غرايس" بأن أعمالا لا قولية شديدة الأهميّة كالإخباريات والاستفهامات والأوامر هي بالأساس غير متواضع عليها بمعنى أنّها يمكن أن تفسّر فقط بالفاظ "ردود

3. إسماعيلي علوي، حافظ، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، دار الكتاب الجديد المتحدة، الطبعة الأولى، المغرب، 2009.
 4. الجباشة، صابر، لسانيات الخطاب الأسلوبية والتلفظ والتداولية، ط1، دار الحوار، سورية، 2010.
 5. ابن نبي، مالك، لبّيك حجّ الفقراء، ترجمة: زيدان خوليف، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، 2009.
 6. صحراوي، مسعود، التداولية عند العلماء العرب، دار التنوير، الجزائر، 2008.
 7. المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية، المطابع الأميرية، القاهرة، 1996.
 8. المسدي، عبد السلام، اللسانيات وأسسها المعرفية، الدار التونسية للنشر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.
 9. المسدي، عبد السلام، فضاء التأويل، كتاب دبي 68، سبتمبر 2012.
- .الهوامش:

- 1- عبد السلام المسدي، فضاء التأويل، 2012، ص224.
- 2- مالك بن نبي، 1430 هـ/ 2009 م، لبّيك حجّ الفقراء، ترجمة زيدان خوليف.
- 3- مالك بن نبي، لبّيك حجّ الفقراء، ص30.
- 4- م ن، ص27.
- 5- م ن، ص30.
- 6- م ن، التصدير، ص10.
- 7- المعجم الوجيز، 1996، مجمع اللغة العربية، القاهرة، مادة: لبّي، ص551.
- 8- حافظ إسماعيلي علوي، 2009، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، ص105.
- 9- مالك بن نبي، لبّيك حجّ الفقراء، ص82.
- 10- م ن، ص92.
- 11- عبد السلام المسدي، 1986، اللسانيات وأسسها المعرفية، ص56.
- 12- الأزهر زناد، نظريات لسانية عرفنية، ص21.
- 13- مالك بن نبي، لبّيك حجّ الفقراء، ص102.
- 14- الأزهر زناد، نظريات لسانية عرفنية، ص21.
- 15- مالك بن نبي، لبّيك حجّ الفقراء، ص105.
- 16- م ن، ص106.
- 17- م ن، ص45.
- 18- م ن، ص51.
- 19- م ن، ص52.
- 20- الأزهر زناد، نظريات لسانية عرفنية، ص24.
- 21- مالك بن نبي، لبّيك حجّ الفقراء، ص90.
- 22- م ن، ص49.
- 23- الأزهر الزناد، نظريات لسانية عرفنية، ص199.
- 24- مالك بن نبي، لبّيك حجّ الفقراء، ص85.
- 25- م ن، ص38.
- 26- م ن، ص74.
- 27- م ن، ص52.
- 28- م ن، ص69.
- 29- م ن، ص29.

-
- 30- جورج ليكوف، 2014، النظرية المعاصرة للاستعارة، ص 07.
- 31- مالك بن نبي، لبّيك حجّ الفقراء، ص 39.
- 32- م ن، ص 31.
- 33- م ن، ص 39.
- 34- الأزهر الزّناد، نظريات لسانية عَرَفنية، ص 153.
- 35- مالك بن نبي، لبّيك حجّ الفقراء، ص 27.
- 36- م ن، ص 32.
- 37- م ن، ص 40.
- 38- م ن، ص 36.
- 39- م ن، ص 38.
- 40- م ن، ص 42.
- 41- م ن، ص 33.
- 42- مسعود صحراوي، 2008، التداولية عند العلماء العرب، ص 65.
- 43- مالك بن نبي، لبّيك حجّ الفقراء، ص 97.
- 44- م ن، ص 57.
- 45- م ن، ص 107.
- 46- صابر الحباشة، لسانيات الخطاب الأسلوبية والتلفظ والتداولية، ط 1، دار الحوار، سورية، 2010، ص 207.